التأثير الإيراني في السياسة الخارجية العراقية: الأزمة السورية نموذجا

زيد أحمد بيدر، مدرس مساعد

قسم العلاقات الدولية والدبلوماسية،

كلية الكتاب الجامعة، العراق

الملخص:

كشف الموقف العراقي من الأزمة السورية حجم التأثير الإيراني على السياسة الخارجية العراقية، وقدرة إيران على فرض إرادتها على العراق وذلك بجعل العراق يسير في فلك المؤيدين للنظام السوري، ولم يعكس الموقف العراقي مصالح العراق الوطنية، حيث أن العلاقات العراقية – السورية شهدت توترا كبيرا قبل الأزمة السورية جراء الاتهامات التي وجهتها الحكومات العراقية المتعاقبة منذ 2003 للنظام السوري بالعمل على زعزعة استقرار العراق، وأن التأثير الإيراني كان واضحا من خلال قيام العراق بتقديم مختلف أشكال الدعم للنظام السوري، في وقت كانت أغلب الدول العربية والإقليمية والدولية تقف ضد ممارسات النظام السوري وتنتقد استخدامه القوة المفرطة ضد المدنيين، مما ساهم بتوتر العلاقات العراقية مع الأطراف الإقليمية والدولية في وقت يحتاج العراق للمساعدة الدولية للخروج من الأزمات الحالية التي يمر بها البلد.

الكلمات المفتاحية: التأثير – إيران – السياسة الخارجية – العراق – الأزمة السورية.

Abstract:

The Iraqi position on the Syrian crisis revealed the extent of Iranian influence on Iraqi foreign policy and Iran's ability to impose its will on Iraq by making Iraq part of in the orbit of supporters of the Syrian regime. The Iraqi position did not reflect Iraq's national interests. Because of the accusations made by the successive Iraqi governments of the Syrian regime to work to destabilize Iraq, and that the Iranian influence was clear through the provision of various forms of support for the Syrian regime at a time when most Arab countries, regional and international stands). The Syrian regime's practices and criticism of its use of excessive force against civilians, which leaded to tension of international relations at a time when Iraq needs Arab and international assistance to get out of the current crises experienced by the country.

Keywords: Influence - Iran - Foreign Policy - Iraq - Syrian Crisis.

مقدمة:

منذ الاحتلال الأمريكي للعراق والسياسية الخارجية العراقية إزاء القضايا الإقليمية والدولية تحركها وتسيطر على صناعتها أطراف إقليمية ودولية، حيث أن أغلب المواقف العراقية من القضايا الإقليمية والدولية قد اتخذت بعيدا عن المصالح الوطنية، فالمتتبع للأحداث الإقليمية يستغرب من تخبط السياسة العراقية في كثير من القضايا ، فأعداء الأمس أصبحوا حلفاء اليوم والعكس صحيح، ولم يكن المعيار من ذلك هو مصلحة العراق، ولم يكن هناك مبرر من خروج العراق عن الإجماع العربي والدولي في كثير من القضايا، بل كان لإرضاء أطراف دولية معزولة دوليا، مما قد يعرض العراق للعزلة الدولية ذاتها، خاصة في هذه المرحلة التي تتطلب من العراق الدخول في علاقات جيدة مع مختلف الأطراف الإقليمية والدولية للخروج من الأزمات التي يمر بها البلد، والأزمة السورية خير مثال على ذلك، وقد كانت الحكومة العراقية قبل الأزمة السورية توجه للنظام السوري الاتهامات وتعتبره المسؤول الأكبر عن عدم الاستقرار الأمني في العراق، إلا أنه نتيجة لتغير بعض الأوضاع في الساحة الإقليمية، أصبح العراق أحد الدول الحليفة، إذ لم يدخر جهدا في سبيل دعم سوريا عسكريا واقتصاديا باعتبارها تحارب الإرهاب بعد أن كان متهما بإذكاءه.

إشكالية البحث:

إن وقوف العراق إلى جانب المحور المساند للنظام السوري وتعاونه المستمر مع إيران للحيلولة دون سقوط النظام السوري، قد عرض العراق لانتقادات إقليمية ودولية، في وقت يحتاج العراق للدعم الدولي للخروج من التحديات التي يواجهها، وهو ما يدفعنا للتساؤل عن الأدوات التي استخدمتها إيران للتأثير على موقف العراق من الأزمة السورية، لذلك يكمن تساؤلنا الرئيسي لهذا البحث في مايلي: ما مدى التأثير الإيراني في السياسة الخارجية العراقية تجاه الأزمة السورية؟

فرضية البحث:

تنطلق الدراسة من فرضية أساسية متمثلة في أنه: كلما كانت هناك محددات ذات تأثير قوي تحكم العلاقات بين دولتين، كلما زاد ذلك من حدة التأثير في صياغة توجهات السياسة الخارجية تجاه القضايا الإقليمية للدولتين.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الوصول للأهداف والوسائل التي تمتلكها وتوظفها إيران في تأثيرها على السياسة الخارجية العراقية، وكذا معرفة مستوى العلاقات العراقية السورية قبل الأزمة السورية وبعدها والتوصل للأسباب التي أثرت في موقف العراق تجاه النظام السوري.

هيكل البحث:

تم تقسيم البحث إلى محورين، سيتطرق المحور الأول لأدوات التأثير الإيراني على السياسة الخارجية العراقية، أما المحور الثاني فسيتطرق للعلاقات العراقية السورية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق والموقف العراقي تجاه الأزمة السورية.

منهجية الدراسة

تم الاعتماد على توليفة من المناهج لكون البحث يقوم على فكرة التكامل المنهجي بما يعنيه ذلك من استخدام أكثر من منهج، اذ تم توظيف المنهج التحليلي الوصفي والمنهج المقارن، لفهم مختلف الديناميكيات والمتغيرات التي أثرت في السياسة الخارجية تجاه الأزمة السورية، والوقوف على الحقائق التي ساهمت في تغيير موقف السياسة الخارجية العراقية تجاه سوريا بعد الأزمة السورية.

المحور الأول: أدوات التأثير الإيراني في السياسة الخارجية العراقية

1 – الأدوات السياسية:

تمتلك إيران تأثيرا كبيرا على مجريات الأحداث السياسية في العراق من خلال تأثيرها على كثير من القادة السياسيين الذين يشغلون مناصب قيادية في العراق، حيث تستطيع من خلال ذلك أن تؤثر في الموقف العراقي من مختلف القضايا، إذ أن أغلب قادة الأحزاب السياسية الشيعية العراقية قد عاشوا في إيران طيلة فترة حكم الرئيس السابق "صدام حسين"، وتربطهم علاقات متينة بإيران، إذ لا يزالون يتلقون الدعم والتنظيم من إيران[1]، وعلى الرغم من وجود قادة عراقيين معارضين لهذا التوجه إلا أن تأثيرهم محدود جدا نظرا لقلة عددهم قياسا بما تمتلكه إيران من تأثير على أغلب التيارات السياسية العراقية، حيث لا يقتصر تأثيرها على القادة الشيعة بل يمتد إلى القيادات السنية العراقية، إذ توجد مجموعة من القيادات السياسية السنية في

1 – جريدة الشرق الأوسط، تيار الحكمة الوطني، العدد (14127) بتاريخ 2/ 8 / 2017. ولمزيد من المعلومات انظر: دريد سلمان، الزبيدي يكشف عن مضمون إجابة للخامنئي على رسالة للحكيم، مقابلة أجرتها قناة السومرية مع السياسي العراقي باقر الزبيدي، تم زيارة الموقع بتاريخ 2/ 8 / 2017، للاطلاع على الرابط : http://www.alsumaria.tv/news

العراق كانت قد حصلت على مناصب في الحكومات العراقية المتعاقبة والتي تشكلت بعد الاحتلال الأمريكي للعراق نتيجة لموافقتها على المشاريع الإيرانية في العراق، والأمر نفسه ينطبق على الأحزاب الكردية حيث تمتلك إيران علاقات قوية مع حزب "الاتحاد الوطني الكردستاني" الذي يتزعمه رئيس الجمهورية الراحل "جلال الطالباني"، ولها علاقات إستراتيجية معه، ويتضح من خلال ذلك أن إيران تمتلك تأثيرا كبيرا على القيادات السياسية في العراق ومن مختلف التيارات والأطياف فيها، مما يؤهلها أن تلعب دورا كبيرا في صياغة السياسية الخارجية العراقية وجعلها تتماشي ومشاريعها في المنطقة[1].

2 – الأدوات العسكرية:

من بين أهم الأدوات التي تستطيع من خلالها إيران التأثير على السياسة الخارجية العراقية، هي الأداة العسكرية التي تنقسم إلى قسمين، الأولى: تتم عن طريق الدعم الذي وفرته إيران للعراق في حربه ضد داعش حيث قامت بتجهيز الفصائل المسلحة العراقية بأسلحة كما أشرفت على تدريبهم، إضافة إلى إرسالها مقاتلين إلى العراق، وفي أكثر من مرة يصرح قادة عسكريون إيرانيون بأنه لولا وجود الدعم الإيراني لدخل داعش إلى بغداد، وهو ما يؤيده الكثير من القيادات العراقية، وقد استغلت إيران هذه الفترة لتمارس ضغوطا تتعلق بالسياسة الخارجية وموقف العراق من القضايا الإقليمية، أما القسم الثاني والذي له تأثير كبير أيضا، المتعلق بالمليشيات العراقية التي تدين بالولاء لإيران حيث تشرف على تسليحها وتدريبها وتتلقى هذه المليشيات دعما كاملا منها وكثير من قادة هذه المليشيات قاتل ضد العراق في الحرب العراقية الإيرانية، أي أن هذه المليشيات تنفذ أجندة إيرانية، وتستهدف خصوم إيران في العراق وتعتبر من الوسائل الفعالة في الضغط على السياسيين لتقبل المشروع الإيراني بالعراق وعدم معارضته وتصفية من يخالف ذلك [2]، وأغلب هذه المليشيات تؤمن بولاية الفقيه وصرحت بأكثر من مناسبة أنهم جنود خامنئي وولائهم الأول لإيران وللمرشد، بل ذهب البعض الآخر إلى ابعد من ذلك وأعلن أنه سوف يقف مع إيران لو حدثت حرب بين البلدين، وتؤدي الأداة العسكرية دورا كبيرا في التأثير على مواقف العراق الإقليمية

1 – محمود بريك محمد الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية، (عمان: الأكاديميون للنشر والتوزيع ، 2014)، ص. 125.

2 – الدور المخرب للحرس الثور الإيراني في الشرق الأوسط، (بروكسل: اللجنة الدولية للبحث عن العدالة، مارس 2017)، ص. 21.

والدولية حيث يخشى أغلب القادة السياسيين العراقيين من تصفيتهم إذا ما عارضوا المشروع الإيراني داخل العراق.[1]

3 – الأدوات الانتخابية:

تؤثر إيران بشكل كبير في الداخل العراقي، سواء قبل الانتخابات العراقية أو بعدها، ويكون لها الدور الأعظم في التأثير على القوائم الانتخابية، بإضافة المرشحين الذين يدينون بالولاء لها، كما أن لها دور في وضع رؤساء الكتل والأحزاب، إضافة لدورها الكبير في دعم المرشحين عن طريق رجال الدين أو عن طريق أنصارها[2]، إضافة إلى الدور الإيراني بعد الانتخابات؛ وفي مرحلة تشكيل الحكومة يبرز لها الدور البارز في تشكيل الحكومة العرقية والدليل على ذلك بعد كل انتخابات وفي فترة تشكيل الحكومة تقوم القيادات العراقية بحسم أغلب المسائل العالقة في إيران، وفي بعض الأحيان تقوم إيران بإرسال مندوبين عنها إلى العراق للضغط على الأطراف المعارضة للقبول بالمرشحين الذين تدعمهم وهذا ما كان واضحا في فترة تشكيل حكومتي "نوري المالكي".[3]

4 – الأدوات الإعلامية:

تمتلك إيران وسائل إعلامية توظفها لتحقق أكبر قدر من التأثير على الرأي العام العراقي، والذي ينعكس بدوره على السياسة الخارجية العراقية، الأمر الأول يتم عن طريق وسائل إعلامها لدعم حلفائها آو تشويه صورة خصومها، إذ أن العشرات من المؤسسات الإعلامية العاملة في العراق حاليا يتم تمويلها من إيران، ويشترط على كل حركة سياسية أو فصيلة مسلحة والذي يرغب في الدعم الإيراني وجود جناح إعلامي يروج لأفكار التجربة الإيرانية وولاية الفقيه، أما الأمر الثاني الذي تستخدمه إيران في التأثير الإعلامي يكون عن طريق تصوير دولة معينة

---

1 – توفيق السيف، الأحزاب المرتبطة بولاية الفقيه ، نقلا عن موقع الجزيرة للدراسات، تمت زيارة الموقع بتاريخ 10 / 8/ 2017، للاطلاع على الرابط :
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/

2 – احمد محمود إبراهيم، السياسة الإيرانية تجاه العراق في فترة الاحتلال الأمريكي، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر غزة– كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012، ص ص. 96 – 97.

3 – أحمد ثابت محمد وآخرون، أثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط – دراسة حالة لعراق وسوريا وإيران، نقلا عن موقع المركز الديمقراطي العربي، تمت زيارة الموقع بتاريخ 2017/8/13، للاطلاع على الرابط:
http://democraticac.de/?p=47176

على أنها من أعداء العراق وتسعى لتدميره ثم يقوم السياسيون العراقيون بتصعيد المواقف تجاه هذه الدولة ويصل الأمر إلى حد التهديد بشن حرب أو المواجهة[1].

المحور الثاني: العلاقات العراقية السورية والموقف العراقي من الأزمة السورية

1 – العلاقات العراقية السورية بعد الاحتلال الأمريكي للعراق

كانت سوريا من أشد المعارضين للاحتلال الأمريكي للعراق وفي أكثر من مناسبة هاجمت السياسة الأمريكية في المنطقة واعتبرت أن الهدف الأمريكي من الاستيلاء على العراق هو احتلال غير شرعي ولم يتغير الموقف السوري عن هذا الإطار في الفترة اللاحقة، وعند بداية الحرب قامت سوريا بتسهيل مرور الأسلحة والمقاتلين العرب عبر أراضيها إضافة إلى استخدامها خطابا سياسيا حادا ضد الولايات المتحدة الأمريكية، ولأجل ذلك وضعت الولايات المتحدة الأمريكية سوريا وكوريا الشمالية وإيران في خانة واحدة ووصفتهم بالدول الداعمة للإرهاب وقالت واشنطن على لسان الناطق باسم البيت الأبيض أن على سوريا أخ العبر مما أسماه "درس العراق"[2]، وعلى الرغم من زيارة رئيس الوزراء العراقي السابق "إياد علاوي" بعد أقل من شهر على توليه منصبه كرئيس للوزراء، لسوريا واستقباله من قبل بشار الأسد، حيث تمخض عن الزيارة التوقيع على مجموعة من الاتفاقيات بشتى المجالات إلا أنه كان هناك خلاف كبير حول الوجود الأمريكي في العراق، إذ واصلت سوريا نفيها للاتهامات العراقية بالتدخل السوري بالشأن العراق[3]، وبعد الزيارة وصف وزير الخارجية العراقية "هوشيار زيباري" العلاقات على أنها ليست على ما يرام ويجب على سوريا منع تسلل المقاتلين إلى العراق، وقد استمر العراق طيلة فترة رئاسة "إياد علاوي" للحكومة الانتقالية باتهام سوريا بالتقصير بعدم ضبط حدودها مما يسهل عبور المقاتلين[4].

1 – **معمر فيصل خولي**، "التغلغل الإيراني في العراق...الدوافع والأشكال وأدوات التأثير"، نقلا عن موقع مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، للاطلاع على الموقع: http://rawabetcenter.com/archives/27905

2 – علبة مزوزي ، "العلاقات الإيرانية السورية في ظل التحولات الدولية"، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة باتنة،كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية، 2010، ص. 66.

3 – سعدون جوير الدليمي، "الآفاق المستقبلية للعلاقات العراقية السورية"، مجلة أراء حول الخليج، ع. 7، جدة ، مارس 2005، ص. 29.

4 – ستار جبار الجابري، "العلاقات العراقية السورية: دراسة بالدور السوري كفاعل مؤثر"، مجلة دراسات دولية، ع. 33، بغداد، جويلية، 2007، ص. 24.

وبعـد تـولي "جـلال الطالبـاني" رئاسـة الجمهوريـة العراقيـة قـال في خطابـه أمـام البرلمـان العراقـي: "أن العـراق لا ينسـى فضـل سـوريا وأنهـا سـاعدت المعارضـين لنظـام صـدام في وقـت لم يجـدوا مـن يسـاعدهم"، إلا أن الواقـع جـاء خـلاف ذلـك حيـث لم يمضـي وقـت طويـل حـتى دعـا الـرئيس العراقـي سـوريا لإثبـات دورهـا الايجـابي مـن خـلال منعهـا عبـور المسـلحين، وهـذه اتهامـات اعتـادت الحكومـات العراقيـة المتعاقبـة إطلاقهـا ضـد سـوريا وفي تلـك الفـترة كانـت الـولايات المتحـدة الأمريكيـة هـي مـن تمسـك بزمـام الأمـور بالعـراق وأن موقـف الـرئيس العراقـي جـاء بعـد التهديـد الأمريكـي لسـوريا بتحـرك دولي ضـد سـوريا لأنهـا تسـتخدم أراضـيها كقاعـدة خلفيـة للعمليـات الإرهابيـة الـتي تحـدث في العـراق واسـتمرارها بغـض الطـرف عـن عبـور المسـلحين إلى العـراق وقـد استمر التوتر الذي خيم على العلاقات العراقية السورية خلال تلك الفترة [1].

وفي فـترة تـولي "نـوري المـالكي" رئاسـة الـوزراء في العـراق عـام 2006 ، شـهدت تلـك العلاقـات تـدهورا كبـيرا علـى الـرغم مـن قيـام المـالكي بـزيارة لسـوريا والـتي التقـى خلالهـا الـرئيس السـوري "بشـار الأسـد"، حيـث تم بحـث التعـاون السياسـي والاقتصـادي المشـترك، وفي الجانـب الآخـر طلـب رئـيس الـوزراء العراقـي "نـوري المـالكي" مـن القيـادة السـورية كـبح جمـاح المسـلحين، الـذين يتسـللون مـن الحـدود بـين البلـدين، وفيمـا اتهمـت سـوريا وعلـى لسـان رئـيس وزراءهـا "ناجـي العطـري" الـولايات المتحـدة المسـؤولية عـن تـدهور الأوضـاع الأمنيـة والاقتصـادية في العـراق، ولم يكـن ملـف تسـلل المقـاتلين عـبر الحـدود السـورية إلى العـراق التهمـة الوحيـدة الموجهـة إلى النظـام السـوري بـل وجهـت الحكومـة العراقيـة جملـة مـن الـتهم، أبرزهـا الوقـوف وراء الأعمـال الإرهابيـة عـن طريـق دعمهـا وإيوائهـا لقـادة ورمـوز نظـام حكـم "صـدام حسـين"، كمـا تضـيف الحكومـة العراقيـة بأن سـوريا أصـبحت قاعـدة للتحضـير للأعمـال الإرهابيـة الـتي تحـدث في العـراق، إضـافة إلى إرسـال ضـباط سـوريين لمسـاعدة المسـلحين الـذين قـاموا بأعمـال تسـتهدف القـوات الأمريكيـة، وبعـد كـل خـرق أمـني يحـدث في العـراق تتوجـه أصـابع الاتهـام إلى النظـام السـوري بالوقـوف وراءه، والأمثلـة علـى ذلـك كثـيرة وأبرزهـا مـا أطلـق عليـه "تفجـيرات الأربعـاء" الـدامي في 2009/8/19، والـذي أوقـع مئـات الشـهداء والجرحـى واسـتهدف مبـاني حكوميـة وخاصـة علـى حـد سـواء، كمـا اتجهـت العلاقـات بعـد ذلـك إلى مزيـد مـن التـوتر حيـث تم توجيـه الاتهـام لسـوريا بالوقـوف وراء تلـك التفجـيرات، حيـث بعـث رئـيس الـوزراء العراقـي آنـذاك "نـوري المـالكي" رسـالة إلى الأمـين العـام للأمـم المتحـدة "بان كـي مـون" يطلـب رسميـا تشـكيل محكمـة دوليـة للتحقيـق بإحـداث الأربعـاء

1 – "المالكي: نقل ملف التفجيرات من الأمم المتحدة"، جريدة الشرق الأوسط، ع. 11257، بتاريخ 23 / 9 / 2009 .

الـدامي بعـد اتهـام سـوريا بتـدريب إرهـابيين واحتضـانها لقيـاديين في "حـزب البعـث" المنحـل اتهمـتهم بغـداد بالوقـوف وراء التفجـيرات وقـد رفضـت دمشـق تسـليمهم علـى الـرغم مـن الوسـاطة [1]، إذ قـرر مجلـس الـوزراء اسـتدعاء السـفير العراقـي في سـوريا للتشـاور معـه بشـأن الموضـوع وتكليـف وزارة الخارجيـة بمطالبـة مجلـس الأمـن الـدولي بتشـكيل محكمـة جنائيـة دوليـة لمحاكمـة مجرمـي الحـرب الـذين خططـوا ونفـذوا جـرائم حـرب وجـرائم إبادة ضـد الإنسـانية بحـق المـدنيين العـراقيين، كمـا وقـرر مجلـس الـوزراء الإيعـاز إلى وزارتي الداخليـة والعـدل لتنظـيم ملفـات اسـترداد المطلـوبين، وبعـد التفجـيرات طالبـت الحكومـة العراقيـة أيضـا سـوريا بتسـليم اثنـين مـن قيـاديي حـزب البعـث لـديها وهمـا "محمـد يـونس الأحمـد" و"سـطام فرحـان" اللـذان كـانا لهمـا الـدور الكبـير حسـب ذكرهـا في التخطـيط والتمويـل وأيضـا ذكـر النـاطق باسـم عمليـات بغـداد في مـؤتمر صـحفي إن ثلاثـة أشـخاص خططـوا للهجمـات ثم عرضـت الفضـائية الرسميـة في العـراق اعترافـات لهـؤلاء الأشـخاص قـالوا فيهـا إنهـم علـى ارتبـاط بحـزب البعـث المنحـل وأضـافوا أن مهمـاتهم كانـت مراقبـة الأهـداف ومرافقـة العـربات المفخخـة إلى داخـل بغـداد[2]، وبعـد أقـل مـن شـهر حـدثت هجمـات إرهابيـة في بغـداد عـن طريـق سـيارات مفخخـة وانتحـاريين قـاموا باسـتهداف وزارات عراقيـة وأحيـاء سـكنية في قلـب بغـداد، ممـا أدى إلى وقـوع عشـرات الشـهداء وإصـابة أكثـر مـن 500 آخـرين بجـروح واتهـم "زيبـاري" مـن سمـاهم الأشـخاص أنفسـهم الـذين كـانوا وراء "تفجـيرات الأربعـاء الـدامي" بتنفيـذ تفجـيرات الأحـد الماضي"[3] .

تبـين ممـا سـبق أن الحكومـات العراقيـة المتعاقبـة بعـد احـتلال العـراق عـام 2003 ولحـد بدايـة الأزمـة السـورية عـام 2011، كانـت تضـع النظـام السـوري في خانـة الأعـداء الـذين يعملـون علـى عـدم اسـتقرار العـراق سـواء عـن طريـق تسـهيل عبـور الإرهـابيين أو مـن خـلال دعـم وإيـواء قـادة حـزب البعـث المنحـل المعارضـين للعمليـة السياسـية في العـراق، وعنـد وقـوع الثـورة السـورية وحسـب المعطيـات السـابقة ربمـا يكـون العـراق أكثـر الأطـراف الرابحـة مـن تغيـير النظـام السـوري، والموقـف العراقـي ربمـا يأخـذ أحـد الأشـكال سـواء الـداعم لتغيـير النظـام السـوري أو علـى الأقـل يكـون مـن المؤيـدين لهـذا الخيـار، وهـذا مـا سـيتبين لنـا في القسـم الثـاني عنـد التطـرق للموقـف العراقـي مـن الأزمـة السورية.

1 – "المالكي: نقل ملف التفجيرات من الأمم المتحدة"، مرجع سابق.
2 – "العراق يتهم سوريا بالتفجيرات ويستعدي السفير"، جريدة القبس الكويتية، ع. 13365، بتاريخ 26 / 8 / 2009.
3 – "الدباغ: لن نقبل مماطلة سوريا في تسليم المطلوبين"، جريدة الأهرام ،ع. 44852، بتاريخ 24 / 9/ 2009 .

2 – الموقف العراقي من الأزمة السورية

حدثت الأزمة السورية عام 2011، والتي كانت بداياتها كسابقاتها من الدول العربية التي شهدت مظاهرات تطالب بالإصلاح ومحاربة الفساد وصولا للمطالبة بتغيير النظام، وقد دفع المناخ الثوري الذي تشكل في عدد من الدول العربية أواخر عام 2010 والذي أطلق عليه "الربيع العربي"، السوريين إلى السير على هذا الدرب أملا في الخروج من الفساد والمحسوبية، خصوصا بعد نجاح الثورات في تونس ومصر وبعدهما ليبيا واليمن في الإطاحة برؤوس أنظمة تلك الدول[1].

لقد تطورت الأحداث في سوريا نحو الأسوأ حيث النظام أصر على فض هذه المظاهرات بالقوة، وفي المقابل توسعت الاحتجاجات الشعبية لتعم أغلب مدن سوريا، حيث رفض المتظاهرون مطالب النظام بإنهاء المظاهرات والنتيجة كانت سقوط أعداد كبيرة من المتظاهرين نتيجة استخدام العنف المفرط ضدهم.

وبعد تفاقم حالات الانشقاق في الجيش السوري أعلِن تشكيل أول تنظيم عسكري يوّحد هؤلاء العسكريين وهو "لواء الضباط الأحرار" ثم تلاه إعلان تشكيل"الجيش السوري الحر"، وأعلن التنظيمان تنفيذ عشرات العمليات ضد الجيش السوري أسفرت عن مقتل العشرات من كلا الطرفين[2]، وقد اجتذبت الأزمة مقاتلين من لبنان والعراق بالتزامن مع تدخل إيران وحزب الله بالمال والخبرات والمقاتلين لصالح نظام "بشار الأسد"، وتطورت الأحداث في الجبهة المقابلة دافعة المقاتلين إلى التحالف في مواجهة النظام حينا والاقتتال فيما بينهم أحيانا، وأدى ذلك إلى اختفاء تنظيمات ونشوء أخرى.

لقد كانت الدول العربية في بادئ الأمر تراقب الأحداث الجارية في سوريا إلى أن جاء أول موقف عربي في شهر ماي 2011 عن طريق السعودية والبحرين والكويت بسحب سفراءهم من سوريا تبعتها بعد ذلك أغلب الدول العربية، وهذا ما تجلى بقيام جامعة الدول العربية بتعليق عضوية سوريا في الجامعة العربية يوم 2011/11/12.

قد يكون العراق من أكثر الأطراف الرابحة في حالة تغيير النظام السوري بسبب قناعة الحكومات العراقية المتعاقبة قبل الأزمة السورية من وقوف النظام السوري وراء أغلب العمليات الإرهابية التي حدثت بالعراق، وكما بينا سابقا، لكن الغريب في الأمر تحفظ العراق على قرار جامعة الدول العربية القاضي بتعليق عضوية سورية الذي اقر بموافقة أغلبية الأعضاء، ورفض العراق فيما بعد تنفيذ قرار الدول العربية غير الملزم والمطالب بسحب سفراء الدول العربية من سوريا [3].

1 – أركان إبراهيم عدوان، "تطور العلاقات التركية السورية للفترة من عام 2000 الى 2012 "، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهر كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2015، ص. 173.

2 – علاء سالم، "تأثير العوامل الخارجية في مسار الثورة السورية"، مجلة السياسة الدولية، ع. 188، (أفريل 2012)، ص ص. 111– 112.

3 – رائد فوزي حمود، "دوافع الجامعة العربية من تعليق عضوية سوريا"، مجلة أراء حول الخليج، ع. 87 ، جدة ، ديسمبر 2011 ، ص. 74.

إن موقف العراق من تعليق عضوية سوريا يدفعنا للتساؤل؟ هل من مصلحة العراق أن يتخذ موقف بخلاف الإجماع العربي، خصوصا في هذه الفترة الحرجة التي يمر بها والتي تتطلب منه تعزيز علاقاته الخارجية مع الأطراف الإقليمية والدولية، فمع بداية الأزمة السورية صدرت عدة تصريحات لرئيس الوزراء العراقي "نوري المالكي" تتعلق بالأزمة السورية، تضمنت جميعها الموقف العراقي الداعي للتغيير السلمي للسلطة ووقوفه الكامل مع تطلعات الشعب السوري، وضرورة تغيير تسلط نظام الحزب الواحد مع وجوب أن يتم ذلك بشكل سلمي، وقد حاولت السلطات العراقية في بداية الأزمة أن تأخذ موقفا وسطا بين ما تريده إيران وما يراه المجتمع الدولي من هذه الأزمة لكن بعد فترة قليلة خضعت الحكومة العراقية للضغوط الإيرانية وبينت عن موقفها الحقيقي المساند للنظام السوري وذلك في شهر أوت 2011 ، حيث صدر تصريح لـ "نوري المالكي" على هامش افتتاح مهرجان الشباب العالمي في "بغداد"، وصف ما يحدث بسوريا بأنه "نار، إما أشعلها الجهلة والحاقدون، وإما أشعلتها إرادات خارجية، لأغراض تتعلق بسياسات ومصالح".

وبشكل رسمي تحفظ المالكي على كل القرارات الدولية الصادرة من الأمم المتحدة أو الجامعة العربية التي تضمنت إجراءات تتخذ ضد "نظام الأسد"، وشارك العراق أيضا بمؤتمر "أصدقاء سوريا" الذي عقد بطهران عام 2014، والذي تضمن بيانه الختامي على معالجة الأزمة السورية بصورة سلمية وإجراء الحوار وكذلك ضرورة مكافحة التطرف والإرهاب[1].

وفي الفترة اللاحقة تحول العراق من التصريحات وإبداء المواقف إلى التحرك على الأرض لدعم نظام الأسد وكان البداية عبر رفضه السماح للهاربين من المدنيين السوريين من بطش النظام السوري، من دخول الأراضي العراقية وهو ما عرض الحكومة العراقية لانتقادات دولية شديدة، وقيام الحكومة العراقية أيضا بحشد قوات عراقية على الحدود العراقية السورية لمنع تدخل العشائر العراقية لدعم الجيش السوري الحر وكذلك تحركت قوات إلى منطقة ربيعة لمنع سلطات إقليم كردستان من تقديم الدعم للقوات الكردية في سوريا[2].

وعندما بدأ نظام "الأسد" يوشك على الانهيار قامت إيران بإرسال مليشيات عراقية وهذه الخطوة حظيت بدعم ومباركة من الحكومة العراقية عن طريق توفيرها للأموال والسلاح وإرسالهم لدعم قوات الأسد حيث وصل عدد المليشيات العراقية التي تقاتل في سوريا إلى ما يقارب من 10 آلاف مقاتل[3] .

---

1 – فارس الخطاب، "العراق وإشكاليات الموقف من الثورة السورية"، تمت زيارة الموقع بتاريخ 18 / 8 / 2017، نقلا عن موقع الجزيرة للدراسات، للاطلاع انظر الموقع: http://www.aljazeera.net/portal

2 – "العراق يغلق ابوابه بوجه اللاجئين السوريين"، جريدة الشرق الاوسط ، ع. 12290، بتاريخ 22 / 7 / 2012 .

3 – "توزيع المليشيات المدعومة ايرانيا في سوريا"، جريدة القدس العربي، ع. 8462، بتاريخ 12 / 5 / 2016.

كما ساهمت حكومة "المالكي" بتسهيل نقل الأسلحة إلى النظام السوري سواء عن طريق استخدم الأراضي العراقية البرية أو بالسماح للطائرات المدنية الإيرانية من استخدام الأجواء العراقية وهو ما أكدته الولايات المتحدة حيث أشارت إلى وجود اتفاق ضمني بين بغداد وطهران يقضي بعدم تفتيش الطائرات الإيرانية المحملة بالأسلحة إلى سوريا.

ورغم أن بغداد نفت في البداية هذه الاتهامات الأميركية، إلا أنها استجابت في النهاية للضغوط الأميركية، حيث أعلنت أنها سوف تقوم بإجراء عمليات تفتيش عشوائي على الطائرات الإيرانية، للتأكد مع عدم حملها شحنات أسلحة إلى سوريا، بحجة أنها تفتقر إلى الإمكانيات التي تتيح لها إجراء عمليات تفتيش كاملة على كل الطائرات الإيرانية المتجهة إلى سوريا[1].

عكس الموقف العراقي من الأزمة السورية التخبط في السياسة الخارجية العراقية والتأثير الإيراني عليها، وذلك بوقوف العراق إلى جانب النظام السوري واستخدامه كل الوسائل لحيلولة دون سقوط هذا النظام، مع العلم وكما بينا سابقا، إن الحكومات العراقية قبل الأزمة السورية كانت تنظر للنظام السوري على انه قام بجعل سوريا قاعدة للعمليات الإرهابية التي تضرب العراق، وفي كل عملية إرهابية يتهم العراق سوريا بالوقوف وراءها، فالعراق كان واجبا عليه أن يكون أكثر الأطراف داعما للثورة وذلك للتخلص من عدو يتربص بالبلاد ويحاول النيل من استقراره، وهذا ما كان العراق يراه في النظام السوري أو على الأقل يتخذ موقف محايد ويبرر ذلك لأسباب تتعلق بوضع البلد الداخلي الذي تتطلب منه تعزيز علاقاته الخارجية مع كافة الأطراف، لكن بوقوف العراق إلى جانب من كان يعتبر عدوا للعراق ومسؤول عن عدم استتباب الأمن فيه إضافة إلى ذلك وقوف العراق ضد الإجماع الإقليمي والدولي الذي كان يطالب برحيل بشار الأسد من السلطة، عكس كل تلك القدرة الإيرانية على التأثير الكبير على العراق، وإن السياسة الخارجية العراقية في الأزمة السورية كانت تدار بتوجيه من إيران.

وأخيرا يمكن القول إن موقف العراق المؤيد للرئيس "بشار الأسد" والمتناغم إلى حد كبير مع الموقف الإيراني، لم يعد مقبولا بالنسبة لواشنطن والدول العربية، وأنه سوف يؤثر سلبا على العلاقات المستقبلية بين الطرفين، وأن التناقضات بالمواقف العراقية من الأزمات التي تمر بها المنطقة من شأنه ذلك أن يضع العراق إلى جانب إيران في عزلة دولية إضافة إلى قطع الدعم الذي يمكن أن تقدمه واشنطن وأطراف دولية وإقليمية أخرى للعراق لتجاوز المعوقات والتحديات التي يواجهها حاليا، وأن اصطفاف العراق إلى المحور المساند للنظام السوري والذي

1 – تيم ارانغو ، "منحنى تصاعدي لنفوذ إيران في العراق"، جريدة الشرق الأوسط، ع. 14112، بتاريخ 18 / 7 /2017

تتزعمه إيران وخروجها عن الإجماع الدولي والعربي الذي يقف ضد سياسة النظام السوري، في الوقت الذي كان العراق يتهم سوريا بدعم الإرهاب قبل الأزمة السورية، عكس كل ذلك حجم التأثير الإيراني على السياسة الخارجية العراقية عبر توظيف إيران مجموعة من الأدوات التي مكنتها من التأثير على السياسة الخارجية العراقية تجاه القضايا الإقليمية والدولية.

الخاتمة:

يتضح من العرض السابق أن السلطات العراقية سعت للتغطية عن موقفها الداعم للنظام السوري عبر إطلاق شعارات للإيحاء بمواقف وسطية بعيدة عن النظام، عبر مناداتها بضرورة التغيير بالطرق السلمية لكن مواقفها العملية أكدت أن موقف العراق هو داعم للنظام السوري وأن العراق أصبح ضمن المحور الإيراني الداعم للنظام سواء عن طريق المال أو المقاتلين والسلاح، في الوقت الذي كان العالم يقف ضد النظام السوري مما جعل له انعكاسات سواء على علاقات العراق بمحيطة العربي والإقليمي أو الدولي أو لها انعكاسات سلبية على الوضع الداخلي، خصوصا في هذه المرحلة التي تتطلب من العراق تعزيز علاقاته العربية والإقليمية والدولية للخروج من المرحلة الصعبة التي يمر بها البلد، وليس الدخول بتحالف تتزعمه إيران وتقف كل دول العالم ضده.

إن التأثير الإيراني كان واضحا على السياسة الخارجية العراقية تجاه الأزمة السورية، حيث نجحت إيران بفضل ما تمتلكه من أدوات ووسائل للتأثير على الموقف العراقي من هذه الأزمة، اذ استطاعت أن تفرض على العراق موقفا مؤيدا للنظام السوري، في الوقت الذي كانت العلاقات العراقية السورية قبل الأزمة السورية يسودها التوتر وكان النظام السوري ينظر للسلطات العراقية من الداعمين للإرهاب في العراق، وقد أثارت السلطات العراقية هذه القضايا لدى مؤسسات عربية وإسلامية ودولية، مما يكشف لنا ذلك حجم التأثير الذي تمتلكه إيران على السياسة الخارجية العراقية، وذلك بجعل العراق يتحالف مع نظام السوري، تحت مسمى محاربة الجماعات الإرهابية والتكفيرية في حين كان النظام السوري في نظر الحكومة العراقية قبل الأزمة السورية بأشهر قليلة هو من يعمل على انتشار ودعم الإرهاب في العراق، وقد تم التوصل في خاتمة هذه الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات نوردها في مايلي:

1 – استطاعت إيران من تعزيز نفوذها على العراق بعد الاحتلال الأمريكي للعراق عبر أدوات ووسائل سياسية وعسكرية وإعلامية وانتخابية، ونجحت في توظيفها لبسط نفوذها تدريجيا على

كـل مفاصـل الدولـة العراقيـة، مسـتغلة الأخطـاء الـتي وقعـت بهـا الإدارة الأمريكيـة بترسـيخها نظـام المحاصصة الطائفية.

2 – إن موقــف العــراق المســاند للنظــام الســوري في وقــت كــان هنــاك شــبه إجمــاع عــربي ودولي يطالـب بتغيـير النظـام، إضـافة للعلاقـات العراقيـة السـورية الـتي شـهدت تـوترا كبـيرا قبـل الأزمـة، يثبـت أن الموقــف العراقــي مــن الأزمــة الســورية اتخــذ بفعــل الضــغوطات الإيرانيــة علــى الحكومــات العراقيــة المتعاقبة، ولم يتخذ الموقف بما تقتضيه المصلحة الوطنية العراقية.

3 – لـيس مـن مصـلحة العـراق أن يـزج نفسـه في صـراعات خارجيـة في محـور تتزعمـه قـوة إقليميـة معزولـة دوليـا، ممـا عـرض العـراق لانتقـادات دوليـة في وقـت يعـاني العـراق مـن أزمـات أمنيـة وسياسـية واقتصادية تتطلب مساندة إقليمية ودولية للخروج منها.

4 – عنـد بدايـة الأزمـة السـورية حاولـت السـلطات العراقيـة أن تأخـذ موقفـا وسـطا بـين مـا تريـده إيـران ومـا يـراه المجتمـع الـدولي مـن هـذه الأزمـة، وذلـك بتأييـدها تغيـير النظـام السـوري لكـن عـبر الوســائل الســلمية، لكــن لم يصــمد الموقــف العراقــي طــويلا أمــام الضــغوطات الإيرانيــة، ليتحــول الموقف العراقي فيما بعد إلى داعم للنظام السوري.

5 – جعلــت إيــران مــن العــراق مصــدرا لــدعم النظــام الســوري، إذ فتحــت مجالهــا الجــوي أمــام الطـائرات الإيرانيـة لنقـل المسـاعدات الـتي يحتاجهـا النظـام السـوري، وسمحـت باسـتخدام الطـرق البرية العراقية لنقل الإمدادات من الحرس الثوري الإيراني إلى سورية عبر العراق.

قائمة المراجع:

1 – الكتب

1 – محمود بريك محمد الجازي، النفوذ الإيراني في المنطقة العربية على ضوء التحولات في السياسة الخارجية الأمريكية، (عمان: أكاديميون للنشر والتوزيع، 2014).

2 – المجلات والدوريات

2 – رائد فوزي حمود، "دوافع الجامعة العربية من تعليق عضوية سوريا"، مجلة آراء حول الخليج، ع. 87 ، جدة ، ديسمبر 2011 .

3 – ستار جبار الجابري، "العلاقات العراقية السورية: دراسة بالدور السوري كفاعل مؤثر"، مجلة دراسات دولية، ع.33، بغداد، (جويلية 2007).

4 – سعدون جوير الدليمي، "الأفاق المستقبلية للعلاقات العراقية السورية"، مجلة آراء حول الخليج ، ع.7، جدة ، (مارس 2005).

5 – علاء سالم، "تأثير العوامل الخارجية في مسار الثورة السورية"، مجلة السياسة الدولية ، ع.188 ،القاهرة، (أفريل 2012).

3 – الرسائل والأطروحات الجامعية:

6 – أحمد محمود إبراهيم، "السياسة الإيرانية تجاه العراق في فترة الاحتلال الأمريكي"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الأزهر غزة- كلية الآداب والعلوم الإنسانية، 2012.

7 – أركان إبراهيم عدوان، "تطور العلاقات التركية السورية للفترة من عام 2000 إلى 2012 "، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة-كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، 2015.

8 – علبة مزوزي، "العلاقات الإيرانية السورية في ظل التحولات الدولية"، رسالة ماجستير في العلوم السياسية –جامعة باتنة –كلية الحقوق –قسم العلوم السياسية،2010.

4 – التقارير:

9 – الدور المخرب للحرس الثور الإيراني في الشرق الأوسط، اللجنة الدولية للبحث عن العدالة، بروكسل ، مارس 2017.

5 – الجرائد:

10 – تيم ارانغو ، "منحنى تصاعدي لنفوذ إيران في العراق"، جريدة الشرق الأوسط، ع. 14112، 18 / 7 /2017.

11 – "الدباغ: لن نقبل مماطلة سوريا في تسليم المطلوبين، جريدة الأهرام، ع. 44852، 24 / 2009/9.

12 – "العراق يغلق أبوابه بوجه اللاجئين السوريين"، جريدة الشرق الأوسط،ع. 12290، 22 / 7 / 2012 .

13 – "المالكي: نقل ملف التفجيرات من الأمم المتحدة"، جريدة الشرق الأوسط، ع. 11257، 23 / 9 / 2009.

14 – "تيار الحكمة الوطني"، جريدة الشرق الأوسط، ع. 14127، 2/ 8 / 2017.

15 – "العراق يتهم سوريا بالتفجيرات ويستعدي السفير"، جريدة القبس الكويتية، ع. 13365، 26 / 8 / 2009.

16 – "توزيع المليشيات المدعومة إيرانيا في سوريا"، جريدة القدس العربي، ع. 8462، 12 / 5 / 2016.

6 – المراجع الالكترونية:

17 – أحمد ثابت محمد وآخرون، اثر المذهبية في السياسة الخارجية الإيرانية تجاه الشرق الأوسط – دراسة حالة لعراق وسوريا وإيران، بحث منشور، المركز الديمقراطي العربي ، للاطلاع على الرابط:
http://democraticac.de/?p=47176

18– توفيق السيف، "الأحزاب المرتبطة بولاية الفقيه"، نقلا عن موقع الجزيرة للدراسات، للاطلاع على الرابط:
http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/

19 – دريد سلمان، "الزبيدي يكشف عن مضمون إجابة للخامنئي على رسالة للحكيم"، مقابلة أجرتها قناة السومرية مع السياسي العراقي باقر الزبيدي، للاطلاع على الرابط : http://www.alsumaria.tv/news

20 – فارس الخطاب، "العراق وإشكاليات الموقف من الثورة السورية"، نقلا عن موقع الجزيرة للدراسات، للاطلاع على الرابط:
http://www.aljazeera.net/portal

21 – **معمر فيصل خولي**، "التغلغل الإيراني في العراق...الدوافع والأشكال وأدوات التأثير"، مركز الروابط للبحوث والدراسات الإستراتيجية، للاطلاع على الرابط:
27905http://rawabetcenter.com/archives/